مُحاربةُ الإسلام من داخله [1]

سامي الصلاحات *

مُقدِّمة

تهتم الدراسات عادة بتوصيف مشكل أو فكرة وإلقاء الضوء على متعلقاتها وآثارها، حتى تصل في النهاية إلى بيان النتائج المترتبة عنها. والكتاب الذي بين أيدينا يعالج الكثير من الإشكالات أو الأفكار الأساسية في بوتقة واحدة عنوانها محاربة الإسلام من الداخل، ولعل العوامل المساقة في الكتاب كل واحد منها بحاجة إلى دراسة مفصلة ومطولة توضح جذوره وأقسامه وآثاره وطرق علاجه، لكن الجيد في الدراسة أنها جاءت مختصرة ووافية تربط كل هذه العوامل برابط أساسي وهو محاربة الإسلام.

لذا، تكمن أهمية الكتاب في ثلاث نقاط هي: (الأول) إن الكتاب جمع بين المنهجية العلمية في التوثيق وترتيب المباحث وبين العرض المميز القائم على الاختصار وعدم الإطناب، وذلك لإثارة ذهن القارئ وتحفيزه لربط كل عامل ونقطة بالسياق المعيشي والواقعي الذي يحياه المسلم فيجعله متيقظاً حذراً.

---

[1] عبد المحسن، سارة، **محاربة الإسلام من داخله** (دولة الإمارات: **مركز بن جلوي للبحوث والدارسات الإسلامية**، ط١، ٢٠٠٢).

* كلية الآداب والعلوم، جامعة زايد، دولة الإمارات العربية المتحدة..

(الثاني) هناك إلمام ناجح وشامل بالعوامل المعاصرة، والتي بذاتها خارجية وداخلية في آن واحد، فمثلاً عامل العولمة، فهو وإن كان خارجي المصدر فإن له مرتكزات داخلية.

(الثالث) يشعر القارئ بأن مؤلفة هذه الدراسة منشغلة في الدعوة والممارسة العملية، فيلحظ من عباراتها وتحليلاتها أنها تراقب الساحة الإسلامية عن كثب، وبالتالي كان توصيفها للعلل والأمراض ناجعاً، وهذا أمر طبيعي فالممارس والمراقب العملي للأحداث تكون نظراته أوسع وأشمل من الباحث النظري.

ويقع الكتاب في (١٧٧) صفحة من الحجم المتوسط، ولعل الكتاب يعتبر من أول إصدارات مركز بن جلوي للدراسات والبحوث الإسلامية، وينقسم الكتاب إلى تمهيد وفصلين وخاتمة. وتبرز الفكرة الأساسية للكتاب من خلال التمهيد، حيث ترى المؤلفة بأن الحروب والمكائد ضد الإسلام لم تتوقف منذ أن نزل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ {سورة العلق: ١} وتزداد هذه الحروب شراسة وضرراً إذا جاءت من داخل المجتمع الإسلامي، لاعتبار أن الحروب والمكائد الخارجية تثير العاطفة الإسلامية بين جموع المسلمين، وتحفزهم لمواجهتها والوقوف بحزم وشدة ضدها، في حين أن الحروب أو المكائد الداخلية التي تخرج من بين جموع المسلمين تكون أشد وأسوأ وخصوصاً إذا جاءت باسم التجديد والتطوير.

تركز الباحثة على مصطلح "**المحاربة**" لا سيما فيما يتعرض له الدين الإسلامي عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً ومنهاج حياة من قتال عنيف، ومحاولات دائبة مستمرة للقضاء عليه، لا بذاته، لأنه دين قد تكفل الله بحفظه، ولكن للقضاء على أثره في نفوس أتباعه وقلوب معتنقيه وعقول أبنائه.

في **الفصل الأول** من الكتاب، تركز المؤلفة على العوامل الداخلية الساعية لزعزعة الدين الإسلامي في نفوس أتباعه، عن طريق الفكر الذي يمثل عقيدة المسلمين ومبادئهم، والسلوك النفسي والعلمي. وللتأكيد على ذلك، نرى **غياب الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة المعاصرة**، والمراد من الشريعة كما ترى الباحثة هو ما شرعه الله لعباده في جميع جوانب الحياة، وليس المعنى الأكاديمي المتداول في الجامعات والكليات وهو المقصور على الفقه الإسلامي والاجتهادات البشرية، كذلك فإن من صور تغييب الشريعة عن واقع المسلمين هو الاستسلام للقوانين الوضعية المستمدة من القوانين الغربية، وإثارة الفتنة الطائفية والتضييق على الأقليات الدينية من غير المسلمين، وكل ذلك همه التشكيك في مصادر التشريع والتراث الإسلامي. كما أن الفصل بين الدين والدولة صورة أخرى للتغييب تؤدي إلى الكفر المخرج عن الملة.

ومن العوامل الداخلية المحاربة للإسلام **ضعف الاهتمام بالعلوم الشرعية**، من خلال إطارين الأول سعى إلى فصل الدِّيني عن المدني، وخصوصاً في مجال التعليم حتى اختفت العلوم الشرعية عن مناهج التدريس في مختلف مراحل التعليم، وانحصرت في مادة ثقافة إسلامية، كوجبة سريعة غير دسمة أو مشبعة لطلبة المدارس أو الجامعات، والتقليل من الاهتمام باللغة العربية، أما الإطار الثاني فهو التعليم الديني الذي انزوى في مؤسساته الخاصة، وأخذ طابع الجمود والتقليد والمحاكاة بعيداً عن الواقع المعاصر أو المعيشي. كما أن من صور ضعف الاهتمام بالعلوم الشرعية التقليل من عدم الاهتمام باللغة العربية.

كذلك من العوامل الداخلية **ظهور البدع والخرافات**، فالبدعة وهو الأمر الحادث على غير مثال سابق، أو ما لم يؤمر به رسول الله ﷺ لا إيجاباً ولا استحباباً، وقد توسعت واستطردت المؤلفة في توضيح معنى البدعة لغةً واصطلاحاً وأقساماً، ثم معنى الخرافة، وانتهت إلى أقسامه، فمن حيث الجانب العقدي هناك الإيمان بقبور الصالحين وأضرحة الأولياء، والاحتفال بالمولد النبوي حسب الطرق الصوفية، كما أن ظهر السحر والكهانة وتحضير الأرواح والشعوذة بين صفوف المسلمين من البدع التي حاربت الإسلام من الداخل بقوة، كما أنَّ ظهور الصوفيين الذين استغلوا الدين باسم الروحانيات والاتصال بالملأ الأعلى وظهور علماء مضللين قد أسهم بفعالية في محاربة الإسلام. إن الانحراف عن العقيدة الصحيحة يؤدي إلى انحرافات أخرى في السلوك والتعبد والأخلاق والقضايا الاجتماعية وغيرها.

كما أن من العوامل الداخلية، **الاختلاف والتفرق**، وقد ساقت المؤلفة بعض النصوص الشرعية الداعيةِ للوحدة وتجنب الاختلاف والفرقة، فالاختلاف اليوم واقع في عالم السياسة، فالكيانات الإسلامية السياسية المختلفة والمتناحرة، والمذاهب الإسلامية العقائدية المتباغضة والمتشاحنة، إلى الأحزاب والجماعات الفكرية المتباعدة والمتضاربة، انتهاءً بالمدارس الفقهية المختلفة في الفروع، والتي لم تستطعِ تجاوز هذه الاختلافات مع أنها في حقيقتها رحمة ومنة من التشريع الإسلامي. علماً أن كل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من الدين، سواء كان قولاً أو فعلاً، كما يقول ابن تيمية رحمه الله. وترجع المؤلفة سبب ظهور هذه الاختلافات إلى عدم وجود مرجعية جامعة لخلافاتهم الشرعية وقضاياهم المستجدة.

ومن العوامل الداخلية أيضاً التي أسهمت في محاربة الإسلام من داخله **التناقض بين القول والعمل**، فالإيمان الساكن الذي لا حركة له، أو إيمان الكلمات والشعارات هو المشاهد الآن

والمعمول به في مختلف الأقطار الإسلامية، وإلى جانب التصريح في المواد الدستورية بأن الإسلام هو دين الدولة نجد البرامج السياسية والإعلامية حرباً على الإسلام والمسلمين.

كذلك من العوامل الداخلية **التقليد والتبعية**، وهذا العامل يتمحور حول أبعاد ثلاثية هي: الجمود والتحرر والانهزامية، فعندما تعجز العقلية عن التعامل مع الواقع إلا من خلال ما يقال عبر فكر الآخر وطروحاته الثقافية، أو في بعض صوره المظلمة إعطاء الشرعية للواقع المخالف للشرع من خلال تطويع النصوص والأحكام من خلال أدعياء العلماء.

وثمّة عامل مهم هو قصور التربية الإسلامية وظهور التنشئة العلمانية، فإذا كان النبي ﷺ ذكر في الحديث الصحيح:" أن ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء". لبيان ضرورة التربية والنشأة للجيل، وعلى أهمية الاهتمام الأسري والمجتمعي بهذا المولود الحديث، ترى في المقابل الخطط التربوية الكبيرة التي تقوم بها المؤسسات الغربية والتي توفر ميزانيات ضخمة.

إن الضعف الشديد الذي يلاقيه النظام التعليمي في بلادنا العربية والإسلامية يشكل عاملاً قوياً في توهين قوة المسلمين وعقبة في طريق تطوير قدراتهم، وزاد الأمر سوءاً الأجهزة الإعلامية وتطويقها لتربية الطفل منذ النشأة وغرسها أفكاراً غالباً ما تكون بعيدة عن المنهج الإسلامي لتربية الطفل، أما إذا كان هناك برنامج تعليمي في الدول الإسلامية متقدم فغالباً ما يكون على أساس غربي بعيداً عن الروح الإسلامية.

أما **الفصل الثاني** من الكتاب، كان عن العوامل الخارجية، إذ ترى الباحثة أن العوامل الخارجية أسهمت في إيجاد كثير من الأمراض الداخلية في المجتمعات الإسلامية، وقد قسمت الباحثة الفصل إلى ثلاثة مباحث. الأول منهما: **الغزو الفكري**، تعلل المؤلفة بأن الغزو الفكري لم يكن بذاته قوياً من الناحية الفكرية، بل لضعف المسلمين وخصوبة ميولهم الفكرية حتى أضحوا كالمنخفض الذي يستقبل كل شيء، الصالح والفاسد معاً. ولا سيما بعدما أُلبس هذا الغزو لباساً إسلامياً من بعض المسلمين حتى أضحى مسلّماً ومستساغاً في مجتمعات لا تعرف عن دينها سوى الترر اليسير. وكان أخطر الميادين التي غزاها الفكر الغربي هو الميدان الديني، فجاءت إشكاليات العقل والنقل، والدين والعلم، التدين، والتجديد والتأصيل. وقد صاحب هذا كله تيارات جارفة منها:

الفكر التغريبي، وهو الفكر الذي تبنى الطروحات والنظريات التغريبية ذات الصبغة العلمانية، والتي غزت البلاد الإسلامية.

القومية، وهو تيار فكري امتد من الغرب، أسسه النصارى، هدفه إقصاء الإسلام عن واقع المسلمين، نشط في نهاية الدول العثمانية، بشعارات زائفة، منها " الدين لله والوطن للجميع".

الفكر الاشتراكي الماركسي، وهو تيار إلحادي سعى من خلال طروحاته البراقة لاستقطاب الفلاحين، للقضاء على الرأسمالية، وأصبحت لاحقاً بعدما استلمت الحكم في الكثير من بلاد العربية والإسلامية تمارس كل الضغوط والاضطهاد على أتباع أبناء المسلمين.

الفكر الوجودي، القائم على فلسفة خاصة بالإنسان والحياة والعالم، والتي ترى بعدم الزامية وجود قيود أو ضوابط سواء أكانت دينية أو أخلاقية أو اجتماعية.

تحرير المرأة، وهو تيار تغريبي يدعو إلى اقتداء المرأة المسلمة بالمرأة الغربية، والمطالبة بحقوق المساواة بين الرجل والمرأة، والطعن في الكثير من النصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة.

الفكر الحداثي، وهو ثورة جمالية كان منشأها الأدب واللغة، ثم تحولت إلى الأديان والأحكام، وبدأت ترى أن الموروثات ومنها كل ما هو مقدس شرعاً - كالله والنص وغير ذلك - قابل للنظر والنقد، وقد تجاوز الأدب إلى ثوابت الدين والعقائد. وقد ظهرت دعوات مثل "عالمية الثقافة" و"التقارب الديني"، وقد أنتج مؤخراً "العولمة".

المبحث الثاني، يتعلق **بالتآمر الإعلامي**، فالإعلام في الواقع لا يمكن أن يكون محايداً، بل هو مسيّس وله نظم فكرية تبثه وتنظمه، فالإذاعات ووسائل الإعلام العالمية لا تبث صوراً أو برامج ترفيه وحسب، بل تنشر في طياتها فلسفات وأفكار.

إضافة إلى هذا، تطور وسائل الاتصالات وتقنية المعلومات والتي أدت إلى غزو فكري وتلويث ثقافي كما يحدث في شبكة الاتصالات الدولية " الانترنيت".

ولتكتمل الصورة بأبعادها العامة، هناك **وكالات أنباء** تتحكم في صناعة الخبر، ولها باع في سياسة تضليل العقول؛ من ذلك لفت الانتباه وتسليط الضوء عند نشر الخبر، وصرف الانتباه والتعتيم الإعلامي، كما تمارس سياسة تجهيل المصدر وقلب الحقائق بأسلوب يبعد الخبر الحقيقي عن الواقع ويحوله إلى جهة أخرى، كما صاحب ذلك سياسة ترويج الشائعات وشحن النفوس.

كما أن هناك شركات إعلامية كبرى، تزود العالم كله بالمواد الإعلامية وتخترق الدول والقارات بدون التعرض للتوقف أو السؤال، وتقدم حوالي ٩٥% من المواد

الإعلامية للدول العربية والإسلامية، وأغلب هذه الشركات ذات توجه صهيوني وتحمل في طياتها حرباً ضروساً على الإسلام ومبادئه، علاوة على ذلك، فإن الباقي من نسبة المواد الإعلامية والتي تديرها مؤسسات إعلامية عربية وإسلامية، فهي الأخرى ليس لها مشاريع ذات توجهات إسلامية، بل لا تختلف في الكثير من برامجها عن ما تقدمه الشركات الإعلامية الكبرى.

المبحث الثالث، كان عن **العلاقات السياسية والاقتصادية**، ترى المؤلفة في هذا المبحث أن النظام العالمي الجديد الذي سعى إلى جمع العالم كله في بوتقة واحدة تراعى فيها مصالح الدول الكبرى فقط، وأُجبرت دول كثيرة على الموافقة على طروحات الدول الكبرى ومصالحها، مثل اتفاقيات الحد من التسلح النووي، والتعاون في مجال التكنولوجيا والدخول في ميادين التبادل التجاري، والتقارب الديني والثقافي. وقد برزت الولايات المتحدة الأمريكية كراع وقائد لسوق دول العالم إلى هذه البوتقة والتي تصبغ بالصبغة الأمريكية.

ولتحقيق هذا التقارب والاندماج، كان لا بد من تمهيد وعون من المد الفكري والإعلامي بأدواته وآلياته ووسائله المتنوعة، وقد كان العالم الإسلامي مسرحاً لكل هذه التجارب والأعمال. وكان ذلك من خلال عاملين أساسيين:

الأول، **العلاقات السياسية**، نجحت الدول الكبرى في استغلال علاقاتها السياسية في تحجيم الدول وفرض السيادة عليها، وفي نفس الوقف تهميش دور المؤسسات الدولية كمنظمة الأمم المتحدة أو المؤسسات المتعلقة بالعالم الإسلامي، مثل منظمة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية، بل الدور الذي تلعبه الدول الكبيرة في القضاء على أي تمرد على سياستها العامة، لذا سمحت أمريكيا لنفسها باستخدام القوة كي تحافظ على مصالحها. كما ترى الباحثة في مفهوم "**التسميم السياسي**" وهو عبارة عن حملة شاملة تستخدم كل الأجهزة المتاحة للتأثير في نفسيات وعقول وذاكرة الجماعة أو الأمة أو الشعب المحدد، وذلك بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة أو إحلال مواقف محلها..".

والثاني، **العلاقات التجارية**، تحول الاقتصاد إلى وسيلة تحكم بالدول الضعيفة - دول العالم الثالث - بأن يفرض عليها شروط تناسب سياسة الدول الكبيرة، وأسست ما يسمى بالعولمة الاقتصادية وهو تعميم النظام الرأسمالي على العالم، حتى توسع الفارق الاقتصادي بين الدول الكبيرة والدول الصغيرة بنسبة ٥٠ — ١. وللتأكيد على هذه الفارق الواسع، تم الاستعانة بمؤسسات دولية اقتصادية مثل صندوق النقد الدولي "**IMF**" والبنك الدولي

"**World Bank**"، وقد مارست هذه المؤسسات ضغوطاً كبيرة على دول العالم الثالث، وخصوصاً دول العالم الإسلامي في تغيير الكثير من سياستها ونظمها للتناسب مع الوضع الدولي الراهن للدول الكبرى، وتفرض عليها فوائد تصل إلى ٤٨ ٪ تعمل من خلالها إلى إفقار هذه الدول والحد من تطويرها اقتصادياً، وهو ما أطلق عليه سياسة الاقتناص والامتصاص. كما أن منظمات التجارة العالمية "**WTO**" - تضم أكثر من ١٣٤ دولة - تلعب دوراً مهماً في التجارة العالمية، إذ تملك حوالي ٩٠ ٪ من التجارة العالمية، والتي ساعدت على فتح أبواب الأسواق النامية لمنتجات الدول الكبيرة، وتمارس سياسة الخصخصة للشركات وتحرير التجارة الدولية من الجمركة وحمايتها تجارياً.

في **الخاتمة** ركزت المؤلفة فيها على توصيف علاج هذه الأمراض والعلل، معتبرة أن بيان الأمراض والعلل يعتبر من العلاج، وأن مكمن الخطر يتمثل في عدم إدراكنا أننا في خطر حقيقي، لذا ألزمت نفسها ببيان أهم الأدوية من خلال جملة توصيات لتفادي هذه الأمراض والعلل، منها:

في الجانب الديني: ترسيخ مفهوم العقيدة الصحيحة والأصول الشرعية في النفوس والعقول، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ﴾ {الأنعام:١٦٢}، وتحكيم الإسلام شريعة ومنهاجاً في حياة المسلمين أفراداً وجماعات، من خلال بناء الفرد المسلم على أسس عقدية سليمة تفتح آفاق العقول، كما يتوجب ترسيخ قاعدة الولاء لله ورسوله ﷺ وللأمة، يصاحب هذا نشر الوعي الديني والثقافة الشرعية بين عموم المسلمين. كما ركزت المؤلفة على ضرورة الاهتمام بالأطفال وإعدادهم في مراحل مبكرة تمهيداً لنقلهم لمراحل النضج والوعي، وتفعيل دور المرأة المسلمة وإعطائها حقوقها الشرعية. وكذلك ضرورة تفعيل دور المساجد والأئمة والخطباء لتوصيل الرسالة الإسلامية بصورة سليمة ومتناسقة للجمهور، هذا كله يؤدي غرضه إذا كان هناك مرجعية إسلامية من الحكماء والعقلاء تعمل على تذويب الفروق بين الجماعات والأحزاب الإسلامية لتجميع الصف الإسلامي.

أما الجانب الثاني والمهم في نظرها، **فيتعلق بالتعليم**، من خلال إعادة صياغة السياسة التعليمية في أوطان المسلمين لتناسب مع الوقائع والتطورات المعاصرة، وربط هذه السياسات مع أهداف التنمية، وإخراج المتعلمين من الجمود والتلقين إلى المشاركة

والتفعيل، وربط العملية التعليمية بالعملية التربوية، كما يلزم ذلك إيجاد نظام تعليمي مناسب لتوسيع مشاركة الطالب العقلية، هذا كله يتطلب كادراً تعليمياً مؤهلاً.

الجانب الثالث، **هو البحوث والدراسات**، والمقصود به كما ترى الباحثة دراسة التيارات الفكرية الوافدة، مع تقديم الحلول والمقترحات لمواجهة هذه التيارات من خلال التركيز على البدائل الإسلامية، وتحديد الأوليات في مواجهتها، واستقطاب العلماء والمفكرين للمشاركة في العملية الإصلاحية.

الجانب الرابع، تمثل في **الإعلام** وتحرير وسائله لكي تخدم المشروع الإسلامي، والسعي لإيجاد بدائل إسلامية تلبي حاجات الفرد والجماعة والدولة، والاستفادة من تقنية المعلومات والاتصالات، وضرورة إيجاد نظام إعلامي إسلامي متكامل في المرئي والمسموع والمقروء كي توصل الرسالة الإسلامية للآخرين، ويتطلب هذا إنشاء وكالات أنباء إسلامية تقدم الخبر والتحليل الصحيح القائم على الدقة. كما توصي بضرورة إيجاد إعلام صحيح قائم على الأصول الإسلامية موجه إلى الطفل والمراهق، والقدرة على مخاطبة أعمارهم المختلفة، هذا لا يتأتى إلا من خلال قيادات إسلامية واعية وصالحة تتولى السياسة الإعلامية، وتهتم باللغة العربية باعتبارها هوية لجميع المسلمين. وفي هذا الصدد، تدعو الباحثة إلى ضرورة تقديم الإسلام إلى الغرب بصورة صحيحة سلمية تعكس جوهر الإسلام السليم بعدما تم تصويره في العالم الغربي بالكثير من الشبهات.

أما الجانب الخامس والأخير، تمثل في **السياسة والاقتصاد**، فترى أنه لا بد من تحقيق مشروع إسلامي متكامل وفق صياغة معرفية ومنهجية تتجاوز الإشكالات الداخلية وترتقي لتكون بمستوى التحدي والمواجهة، وهذا لا يقع إلا من خلال الوحدة الإسلامية والالتزام بالأحكام الشرعية وتطبيق نظم الشريعة على المجتمعات وتفعيل دور منظمة العالم الإسلامي، وتحديد الغايات والأهداف السياسية، وتطبيق نظام اقتصادي إسلامي وفق ضوابط الشريعة في حفظ الملكية الفردية والحرية الاقتصادية والنظام المصرفي، والعمل الجاد على إلغاء المعاملات الربوية، وتحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي بين المسلمين من خلال الجهود الإنمائية، لا سيما إذا كان هناك مشروع إسلامي اقتصادي قائم على إيجاد تكتلات اقتصادية تنافس المؤسسات الاقتصادية الدولية، وترفض الانصياع أو التبعية لها.

ملاحظات حول الكتاب

لقد استطاعت المؤلفة إبراز هذا الموضوع بأسلوب وبعبارات سلسة وأفكار واضحة،

لكن هناك ملاحظات نقدية على الكتاب، وإبداء هذه الملاحظات لا يقلل من قيمة الكتاب.

أ. ملاحظات على الشكل

١) هناك إشكال واضح في عنوان الكتاب "محاربة الإسلام من داخله"، والفصل الثاني من الكتاب، وهو"العوامل الخارجية"، فكان الأجدر أن يكون عنوان الكتاب شاملاً لكل عناوين الفصول، فإذا اتفق مع الفصل الأول في "العوامل الداخلية"، فأنه لا يتفق مع الفصل الثاني. وخصوصاً وأن الباحثة حصرت وقصرت محاربة الإسلام "من داخله".

٢) وجود عبارات مبهمة، فمثلاً في صفحة (٧)، ترى الباحثة مثلاً أن:" ما يتعرض له الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاقاً، ومنهاج حياة من قتال عنيف ومحاولات دائبة مستمرة جادة للقضاء عليه..".

والملاحظ أن اختيار عبارة "**قتال عنيف**"، تشكل على القارئ المتأمل، وخصوصاً أن الفصول والمباحث المذكورة في الكتاب تركز على عوامل معنوية وليست مادية، فغياب الشريعة وضعف الاهتمام بالعلوم الشرعية والبدع والخرافات والتناقض بين القول والعمل وغير ذلك كلها عوامل معنوية وليست عوامل مادية كحرب أو قتال.

٣) توسع واستطراد في ذكر المعاني اللغوية لبعض المصطلحات المذكورة مثل " الحرب والبدعة والشريعة"، علماً أن واقع التوضيح المطول للمعاني اللغوية غير مقبول ما دام أنها مصطلحات مفهومة ومستساغة، خصوصاً وأنه كتاب فكري وليس كتاباً منهجياً مخصصاً لفئة أو طبقة. ففي مصطلح البدعة وحده - من صفحة ٣٢ إلى صفحة ٤١ - مثلاً استطردت المؤلفة في المعنى اللغوي والاصطلاحي وتقسيم المنهجي للمصطلح.

وفي المقابل هناك تغافل لبعض المصطلحات الحديثة والتي تستحق - بتمعن - أكثر اهتماماً ومتابعة اصطلاحياً من غيرها، فمثلاً مصطلح الحداثة والعلمانية والعولمة وغيرها من المصطلحات الحديثة هي بحاجة إلى توضيح وتبيين، لا سيما وأنها ذكرت بدون توضيح اصطلاحي. كما أن هناك مصطلحات كانت بحاجة إلى توضيح في معناها، مثلاً ذكرها " مصطلح النيتشرية أو الدهرية" في صفحة ١٠٧، كان بحاجة إلى توضيح في الحاشية أو بين قوسين بجانب المصطلح على الأقل.

٤) المبالغة في توصيف الأشخاص والجماعات، فإن كانت الباحثة قد أصابت في توصيف الكثير من العلل والأمراض في جسم الأمة، إلا أنها في بعض الأحيان كانت عبارتها فيها نوع من المبالغة والتشدد، فمثلاً ترى في صفحة (١٩) قولها:" فإن نص القانون، والحاكم به بعيدان البعد كله عن الأحكام الشرعية، فضلاً عن أن كثيراً من القضاة ليسوا من المسلمين أصلاً".

فوصف المؤلفة بأن الكثير من القضاة ليسوا مسلمين، قول فيه مبالغة. اتفق مع المؤلفة في أن الكثير منهم قد يحكم بغير المقررات الشرعية نتيجة لطبيعة المحاكم المدنية ودساتيرها غير الإسلامية، ولكن هذا لا يمنع من أنهم - أي القضاة - مسلمون.

والأمر نفسه يستقيم على توصيف الصوفيين، فمثلاً قالت الباحثة في حاشية ص ٥٣:" والتصوف هو السبب الأساس في جميع أسباب الانحطاط في الأمة الإسلامية لما يمثله من انحرافات جعلت الدين يكاد أن يكون ديناً آخر".

أنني أتفق مع المؤلفة كل الاتفاق في أن الطرق الصوفية المبالغة والخارجة على حدود الشريعة والنصوص قد أساءت إلى الواقع الإسلامي وإلى مقررات الشريعة، لكن وفي نفس الوقت لا بد لنا أن نعترف أن هناك من اعتمد الطريقة الصوفية المقتدية بنصوص الكتاب والسنة كطريقة روحية توصله في رحلته إلى الدار الآخرة، وقد برزت الكثير من أعلام الصوفية ممن عدهم العلماء من الأولياء والصالحين، مثل الجنيد والرفاعي وغيرهم، كما كانت لحركات التصوف المعتدلة جهود وإيجابيات تذكر في محاربة العدو والاستعمار، كما هو الحال في الطريقة السنوسية في ليبيا إبان الاستعمار الإيطالي.

٥) مع أن المؤلفة استطاعت توثيق كل المعلومات والنصوص، لكنها قد تركت بعض النصوص من غير توثيق، مثلاً في نص روزفلت، ص ١٣٦.

٦) هناك نقول مطولة مرسلة بدون تعقيب على صاحب النص أو أفكاره، كما هو الحال في النقل عن الإمام ابن القيم في ص (٢٤ - ٢٦)، والدكتور البوطي في ص (٧٧ - ٧٨).

ب. ملاحظات على المضمون

١) في كل مؤلف أو كتاب يكشف القارئ عن "المسكوت عنه"، أو المقروء من " تحت الأسطر"، ولعلّي أرى أن المسكوت عنه في مؤلّف الدكتورة سارة أن هناك رفضاً شديداً لكل السياسات العربية والإسلامية القائمة على موالاة الغرب وأمريكا بصورة

خاصة، ونبذاً للمشروع الإسلامي من سياستها وبرامجها. وقد اتضح هذا من خلال الكثير من الأفكار في الفصلين الأول والثاني، واتضح بجلاء في توصيف العلاج في خاتمة الدراسة.

٢) ترى المؤلفة أن "القومية: تيار فكري ممتد من الغرب، أسسه النصارى"، ص ١٠٨.

وهذا الأمر غير دقيق، حيث أن القومية أو العصبية متجذرة في كل قوم وجنس، ولعلها كانت في أشد ضراواتها في عهد الإسلام، وحاول الإسلام بكل ما يملك من قيم وآفاق نبيلة الحد منها، واعتبارها من الجاهلية.

أما ما حدث لاحقاً في العصور الوسطى الأوربية وما تبعها من قوميات وعرقيات متناحرة فهذا منشأه عنصري أيضاً. كما هو الحال في كل الأقوام والأعراق، لكن القومية العربية كان منشأها التعصب للقبيلة والنعرة العشائرية والتي ما زال لها رنين وطنين في المجتمعات العربية والإسلامية. لكن يمكن أن يقال أن للاستعمار دوراً في تأجيج هذه النعرات والعصبيات القبلية من خلال تفريق وشق وترسيم الحدود في الصف العربي والإسلامي.

٣) هناك تغييب واضح لبعض الدراسات والأبحاث الأصيلة في هذا الجانب، والتي ساعدت في توضيح العلاقة والإشكاليات التي يحياها المسلمون مع غيرهم، وبيان ضعف المسلمين وتقصيرهم في حماية دينهم، ولعل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قد حالفه الحظ في التعريف بهذه القضايا في الكثير من كتبه ودراساته، ولم أجد للباحثة أي اعتماد على كتبه ودراساته، والذي حفزني لهذا أن للشيخ دراسة عنوانها قريب من عنوان الباحثة، وهو كتاب " **الإسلام بين كيد أعدائه وجهل أبنائه**" ولعل الأفكار المستوحاة من الكتاب تقارب بعض أفكار المؤلفة.

وهذا الأمر يتطلب منّا وقفة هامة، وهي أننا في العلوم الإنسانية - وخصوصاً علوم الشريعة وأصول الدين - كثيراً ما نتغافل الدراسات السابقة في الموضوع نفسه، ولا نبني على ما أسسه غيرنا، مما يتيح من تشابه الأفكار والآراء والنظرات، ويكرر التجارب والوقائع، مع أنها مجربة وواقعة من أطراف سابقة، وقد قيل سابقاً أن المتأخر يقف على أكتاف المتقدم.

٤) هناك غموض في شرح بعض المصطلحات ذات الصلة في المفاهيم، فمثلاً

تناولت المؤلفة ثلاثية الأبعاد، "**الجمود والتحرر والانهزامية**" ص ٨٢، ولم تبين لنا طبيعة هذه المصطلحات المجتمعة مع أنها تحمل في نفسها المعارضة، "**الجمود**" يقابل "**التحرر**" عندما كلامها عن التبعية والتقليد.

٥) هناك غياب للأمثلة، وخصوصاً عندما يكون الأمر بحاجة لبيان شبهة أو إزالتها، فمثلاً ترى الكاتبة أنه" وجد من مفكري الإسلام من يحاول أن يلبس طروحات الفكر الماركسي ثوباً إسلامياً" صفحة ١١٠.

وهذه الدعوى بحاجة إلى بيان وتفصيل، وخصوصاً وأن الأمر يتعلق بأفكار ومبادئ متناقضة، "الماركسية"و"الإسلام"، وأحسب أنه لم يقم بهذا سوى الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، حيث كتب مؤلف عن "**اشتراكية الإسلام**"، وأراد به أن هناك قواعد في الاشتراكية سلمية دعا إليها الإسلام قبل أن تتكون المنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وقد انتقده الكثير من العلماء على اختياره اسم الاشتراكية بجوار اسم الإسلام. وعلى كل فهو اجتهاد، وإذا كان هناك من طوَّر الموضوع أو قاربه كان على الدكتورة أن تذكره من باب التحذير والتنبيه.

٦) اتفق مع المؤلفة في أن دعوى **تحرير المرأة**، قد لاقت انتشاراً واسعاً في الأوساط العربية والإسلامية، ولكن خلافي معها ينصب في أنها دعوى سلوكية أخلاقية مثلها مثل تبني مشروع الفوائد الربوية والحرية الشخصية والعقائدية، تبناها تيار من أبناء المسلمين للأسف، وليست دعوى تحرير المرأة هي بذاتها تياراً غربياً. لذا كان لزاماً على المؤلفة ألاّ تذكرها في سياق المبادئ والمذاهب الهدامة.

وتبقى لنا كلمة أخيرة، وهي أن هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الدراسة العلمية التي قدمتها لنا الدكتورة سارة، ويبقى الكتاب نموذجاً في دراسة المفاهيم وتحليلها وصياغتها، وقدمت إضافة تستحق التقدير للمكتبة العربية والإسلامية حيث تكاملت في هذه الدراسة عدة مناهج وأدوات بحثية لتحديد جملة من المفاهيم والتصورات المثارة حول التحديات الداخلية التي تواجه الإسلام والمسلمين، وبذلك تكون المؤلفة قد أسهمت في الحوار حول هذه القضايا بصورة موجزة وشاملة.